

النظرية التعليمية الجزائرية في مشروع عبد الرحمان الحاج صالح، وأثرها في المناهج المعتمدة
The Algerian educational theory in the project of Abd al-Rahman al-Hajj Saleh, and its
impact on the approved curricula

مصطفى طويل*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر) mustapha1964touil2014@gmail.com

تاريخ الارسال 2021/08/18 تاريخ القبول 2021/09/04 تاريخ النشر 2021/09/27

الملخص:

في هذه الورقة البحثية أتناول النظرية التعليمية الجزائرية من خلال نموذج عبد الرحمان الحاج صالح الذي أسس لها بمقال له تحت عنوان "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية"، وأعمل على تبيان أهم الأسس المعرفية والنظرية والتطبيقية للنظرية التعليمية، وما ساوقها من تطبيقات متنوعة رصدت المناهج والطرائق والأهداف، وكذا ضبط الدعائم التي طبقها على العربية، من وجهة علمية وتربوية كانت التعليمات تدعو إليها آنذاك، وهل استطاعت أن تتجاوز الظروف التي ظهرت فيها من جهة ومن جهة أخرى التطورات العالمية في مجال اليداكتيك.

الكلمات المفتاحية: النظرية التعليمية الجزائرية؛ اليداكتيك؛ عبد الرحمان الحاج صالح.

Abstract :

In this article, I begin the Algerian educational theory through the model of Abderrahmane El Haj Saleh, which he founded in his article entitled "The impact of linguistics in improving the level of teachers of the Arabic language ", and I work to show the cognitive, theoretical and applied bases of didactic theory, as well as the foundations that it applied to Arabic, from the scientific and educational point of view, which has been called by the educational system to the time, and if it could go beyond the conditions that appeared on the one hand, and on the other hand the world progress in the field of didactics.

Keywords: Algerian educational theory; didactic; Abdul Rahman Al-Haj Saleh

من الصعب على أي دارس أن يقدم حكما مسبقا على أمر ما انطلاقا من الكم المعرفي المنتشر بين يديه، وبالأخص إذا كان مشتتا ومتفرقا بين ثنايا الدراسات التي قام بها فرد أو تكفلت بها العصبية من الباحثين، قلت من الصعب أن يتصور أن ثمة نظرية ما، وبالأخص إذا تعلق الأمر بمجال علوم التربية وما انبثق منها من بيداغوجيات، وما استقرت عليه مما يعرف بالتعليمات بعد السبعينيات من القرن الماضي، هذا الحقل المعرفي

* المؤلف المرسل

ببعديه النظري والتطبيقي أصبح همّ الأمم والبلدان، لأنه السبيل الأوحى لبناء وصناعة منظومة تربوية متكاملة تحقق الغايات والمرامي الجسيمة التي تمكّن لأصحابها في سماء عالم التقدم الحضاري بشقيه المادي العلمي التكنولوجي والمعنوي القيمي هذا الأخير الذي يستمد من مرجعياته الحضارية الطارفة والتليدة.

التعليمية علم ترفده علوم كثيرة و تخصصات غفيرة، لأنه يشكل العصب الأساسي التي تتأسس عليه السياسات التربوية، والتعليمية المتكاملة في شتى بقاع العالم في عصرنا ، أكثر مما كان عند القدماء لأنه كان يشكل لديهم مجرد هم تعليمي تعلّمي. وسبب هذا الاهتمام المتزايد هو نظام العولمة التي يفرض على الكل التكتلات لكي تتعاون فيما بينها أخذا وعطاء.

في هذه المقالة أحاول أن أجيب على جملة من الأسئلة الكبيرة والمشكلة للتأسيس إلى الهدف الذي أنوي الوصول إليه، وهو أن للجزائر نظرية تعليمية متميزة، بالرغم مما تعيشه من تعثرات واضطرابات مقارنة بما هو عند بعض البلدان من تجارب أثبتت نجاحات مبهرة، كما هو في سنغافورة، بل في غزّة الفلسطينية على سبيل التمثيل لا الحصر.

وهذه الأسئلة هي: ماذا يقصد بالنظرية التعليمية في دائرة مفهوم النظرية المعرفية؟ وهل للجزائر نظرية تعليمية، وما هي المرتكزات التي اعتمدت عليها؟ وهل هي في مستوى النظريات التعليمية العالمية، وهل لها صدى في الآخر؟ وما هي أسباب الخلل الذي يعتري الواقع التربوي التعليمي في الجزائر ؟ أهو لانعدام نظرية معاصرة متكاملة تأخذ بيد معدي المناهج؟

لقد اخترت لمقالي جملة من العناصر أحاول أن أضمنها الإجابة على مختلف الأسئلة التي طرحتها من قبل، وهي:

- 1- مفهوم النظرية التعليمية في دائرة مفهوم النظرية المعرفية.
- 2- النظرية الجزائرية الديدانكتيكية، من خلال أعمال الشيخ عبد الرحمان الحاج صالح:
- 3- إمدادات النظرية في أعمال طلبة الشيخ عبد الرحمان الحاج صالح، وتسويقها إلى الخارج .
- 4- النظرية التعليمية الجزائرية وتطبيقاتها في البرامج والمناهج الجزائرية المتعاقبة.

1- مفهوم النظرية التعليمية في دائرة النظرية المعرفية:

قبل تعريف النظرية التعليمية يتوجب علينا تقديم تعريف علمي للنظرية ابستيميا، فهذا "زايس" يوضح نقلا عن العالم "كير لنجر أن النظرية هي" مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات المترابطة التي تقدم نظرة نظامية إلى الظواهر يتم فيها تحديد المتغيرات التي تؤثر في كلّ منها، والعلاقات بين هذه المتغيرات بهدف وصف هذه الظواهر وشرحها والتنبؤ بها، وكل نظرية لها ثلاث وظائف هي: الوصف والتنبؤ والتفسير"

أو هي " بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة تكوّن مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير ، ويمكن تمثيلها كمجموعة من المفاهيم الأساسية ومجموعة من المسلمات تستنتج منها النتائج التفسيرية للنظرية."²

هذا في إطار النظرية المعرفية العامة، وإذا أردنا الحديث عن النظرية التعليمية، فلا شك أننا نلج عالم الديداكتيك الذي صار علما قائما بذاته في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، وقد عرف بتعريفات كثيرة اصطفي منها ما يمثل حلقاته الأخيرة التي استجمعت تعريفا استخلص علميته، فهذا بروسو يعرفه بأنه " الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلم ليحقق التلميذ من خلالها أهدافا معرفية عقلية أو وجدانية أو نفسية حركية..." وأما التعريفات التي تنظر إليه كنظرية عامة موسعة - فهو الذي يهمننا في هذا المقام باعتبار الديداكتيك علما من علوم التربية له قواعده ونظرياته، يعنى بالعملية التعليمية التعليمية، ويقدم المعلومات وكل المعطيات الضرورية للتخطيط ، يرتبط أساسا بالمواد الدراسية من حيث المضمون، والتخطيط لها وفق الحاجات والأهداف والقوانين العامة للتعليم، وكذا الوسائل وطرق التبليغ والتقويم.

وما دام موضوعنا يتعلق بالمناهج التعليمية يجدر بنا أن نلتفت إلى نظرية المنهج التي تعرف بالنظرية التربوية على أنها " مجموعة من المصطلحات والافتراضات المترابطة منطقيا، والتي تمثل نظرة علمية نظامية إلى الظواهر التربوية، والنظرية التربوية تصف الظواهر، وتتنبأ بها وتشرحها وتفسرها، كما أنها في توجيه العمل، واتخاذ القرار..."³ لكي نستكنه أهم القضايا التعليمية التي توظف النظرية التعليمية يتوجب علينا أن نطرح جملة من التساؤلات من أهمها:

- ما طبيعة المجتمع الذي سيوضع له المنهاج ؟
 - ما طبيعة المتعلم المقصود بالعملية التعليمية/ التعلمية ؟
 - ما طبيعة المعرفة - المحتوى الملائم للمتعلم - المراد تعلمها ؟
 - ما الذي ينبغي أن تكون عليه الأهداف التربوية المختلفة ؟
 - وما هو المنهاج الملائم، وما هو تصميمه ؟
- البداية تكون من تقديم تعريف ولو واصل، لا كحد أو رسم لأنه يتعذر ذلك على الضبط، ومن أهم التعريفات الحديثة للمنهج " وهو مجموع الخبرات المخططة التي تهيئها الهيئات وتقدمها للمدرسة قصد تقديمها إلى المتعلمين، سواء أكان ذلك يجري في داخل المدرسة، أو في خارجها، لغرض تحقيق النمو الشامل لشخصية المتعلم في المجال العقلي، والجسمي والوجداني، وغير ذلك، لبناء تلك الشخصية بموجب أهداف تربوية محددة، وخطة علمية تؤدي إلى تعديل سلوك المتعلم."⁴

2- النظرية الجزائرية الديداكتيكية، من خلال أعمال الشيخ عبد الرحمان الحاج صالح:

الحقيقة أنني تناولت هذا العنصر على تحوّف كبير ، وذلك لأني أعلم بأن تقدّم مثل هذا الحكم على أعمال محدودة للعالم عبد الرحمان الحاج صالح بأنها تشكل نظرية ، ولم يقل بها أحد يعدّ مجازفة علمية ولكن الذي قواني على ذلك أمران يقينان هما:

أن للعالم الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح مقالا طويلا ومتميّزا ألفه في بداية السبعينيات من القرن الماضي بعنوان: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدر اللغة العربية. وهذه الفترة تمثل التأسيس الحقيقي للديداكتيك الذي انسلخ من رحم اللسانيات التطبيقية، واستطاع أن يضبط العملية التعليمية/ التعليمية أكثر مما كانت عليه البيداغوجيات آنذاك. وهذا المقال وضع الأسس الحقيقية للعملية التعليمية "التعلم لا التعليم" وهو بالمقابل يمثل في نظري العلاج الحقيقي للمرض الذي تعاني منه منظومتنا التربوية والتعليمية، لأن المعلم إلى غاية اليوم ما زال لم يُنهض به لا علميا ولا بيداغوجيا، وما نجده من إلماعات فردية فهي لا تعكس حقا منظومة متزنة متكاملة، ولو بلغت هذه النماذج مختربرات العالم المتقدم.

وكأني بهذا المقال يؤسس لمصدر العملية التعليمية وهو المعلم وكيف يتم النهوض به علميا، وقبل ذلك بيداغوجيا ديداكتيكية، والواقع هو الذي ينطق بذلك.

والأمر الثاني يتمثل في تقديمه لمقالات كثيرة تخدم المنظومة التربوية وفي مقدمتها ثلاث مقالات هي: "الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي" ومقال "الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية" ومقال "علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي".⁵

ولعل قائل يقول: إن هذه المقالات تتعلق تطبيقاتها باللغة العربية والتعليم أنشطته متنوعة الاختصاصات من رياضيات وطبيعيات واجتماعيات وغيرها فأقول : هذه مقالات نظرت إلى اللغة ومناهجها باعتبارها علما، والعلم يضبط بمقاييس علمية يمكن أن نسقطها على كل الأنشطة الأخرى، والعمل الديداكتيكي، مبادئ، ومناهج، وإجراءات تطبيقية وهذا هو اللب الذي تتأسس عليه العملية التعليمية التعليمية، فقط ما يخدمه في المتعلم كمحصلة يغطي جوانب منتظمة تشكل كلاً متكاملًا .

في هذا المقال دعا إلى ضرورة التطلّع إلى النظريات العلمية، ومناهج التحليل والوسائل المختلفة للحاق بالركب وحلّ مشاكلنا، خاصة تلك التي خرجت في أحدث صورها، وبالأخص في علوم اللسان وصناعة تعليم اللغات.

وأبرز العلاقة القائمة بين العلم وتطبيقاته " أي بين النظرية والتطبيق وما أحوجنا إلى هذا النهج، وهو بالمقابل يقدم نقدا للكثير من النظريات التي لم تقدم نجاعة كبيرة لما وضعت في محك التطبيق، وروجعت في بعض جوانبها وهنا قدم تعريفا دقيقا لنظرية الانجازات " المعرفية " وهي: " التي تعتمد على مجموعة متماسكة من المبادئ العلمية فتستوحي مادتها ومحتواها مما يثبته العلم على ممر الأجيال " وأضاف منبّها إلى عدم نسيان " أن الكيفية التي تستغل بها القوانين التي يكتشفها العلم والنظريات التي يقيمها هي نفسها تكون موضوعا للبحث العلمي " وهو الذي

يسمى بالبحث العلمي التطبيقي في زماننا" وقد أشار إلى أمر مهم وهو الذي عدمناه" وهو أن العلم إذا قطع عن الواقع ولم تختبر نتائجه على محك التطبيق، فسيبقى مجرد فلسفة، كما أن التطبيقات إذا أقيمت على أوضاعها الأولى ولم يدخل على أسسها النظرية أي تجديد وأي تطوير فيكون مآلها الجمود والروتين، والبحث العلمي واحد سواء ما كان يرمي إليه هو اكتشاف أسرار الأحداث أم كيفية استغلال هذه الأسرار في مختلف ميادين الحياة"⁶ هذا التنظير هو حقا ما نحن بحاجة إليه لأنه يكفل للأمة أن تتمسك بالمتحقق من النظريات لا مجرد التهافت على كل ما يلوح في أفق البحث ولو لم يثبت جدارته. ثم بين أهمية الجانب التطبيقي الذي يعرض النتائج النظرية في محك الواقع. وهذان النهجان كلاهما علمي، غير أن أولهما يكتشف أسرار الأحداث، وأما ثانيهما فهو المشتغل على كيفية استغلال هذه الأسرار في واقع الحياة.

ثم وضع يده بلسما على الجرح الذي يجب علاجه، وهو: "أن البحث الجماعي المتفاعل الممنهج المنتظم هو الذي يكفل في الميادين التطبيقية المتداخلة النتائج الإيجابية والحلول الناجعة في تعليم اللغات سواء أكانت من منشأ الطفل أو مما يكتسبه بعد من اللغات الأجنبية."⁷

وهذه الرؤية تقدّم نظرية عامة متماسكة في كيفية اكتساب الطفل لمختلف المهارات الجسدية والذهنية التي تفرضها عليه بيئته، بل بقاؤه ونموّه في المجتمع الذي ينتمي إليه، وما الملكة اللغوية إلّا جزء واحد من تلك المهارات الكثيرة التي هو مجبر على اكتسابها في سنّ الطفولة." وقد قدّم للمدرس في هذا الشأن المبادئ التالية:

- 1- ضرورة الإمام بما جدّ في صعيد البحث اللساني.
 - 2- تقديم ظواهر اللسان من منظور اللسانيات الحديثة.
 - 3- الإمام باللسانيات التربوية كبحت تطبيقي لعلمي اللسان والتربية.
- وهذه المبادئ تحقق التمكن من الملكة اللغوية الأصيلة، والملكة الوظيفية الحقيقية، هذه الأخيرة هي ملكة تعليم اللغة الهدف الأسمى بالنسبة إليه.
- ثم قدم بعد ذلك أهم المشاكل التي تتعرض لها اللسانيات التربوية. وهذا قصد الإجابة عن ماذا يجب أن نعلّم؟ وكيف يجب أن نعلمه؟
- وتطرّق إلى ثلاث قضايا مهمة تعدّ حقا دعائم المناهج التي تركز على ما يتحقق في عناصر المثلث الديداكتيكي وهي:
- 1- النظر في محتوى اللغة التي تعلّم للمتعلم.
 - 2- النظر في محتوى الطريقة التي تبلغ المحتوى.
 - 3- النظر في تأدية المدرّس لهذه الطرق وكيفية تطبيقه لها.
- وبعد ذلك تعرض إلى حقائق ثابتة طالب بضرورة مراعاتها، وهي:

أ- ليس كل ما في اللغة من الألفاظ والتراكيب ، وما تدل عليه من المعاني يلائم الطفل أو المراهق، في طور معيّن من أطوار ارتقائه، ونموه .

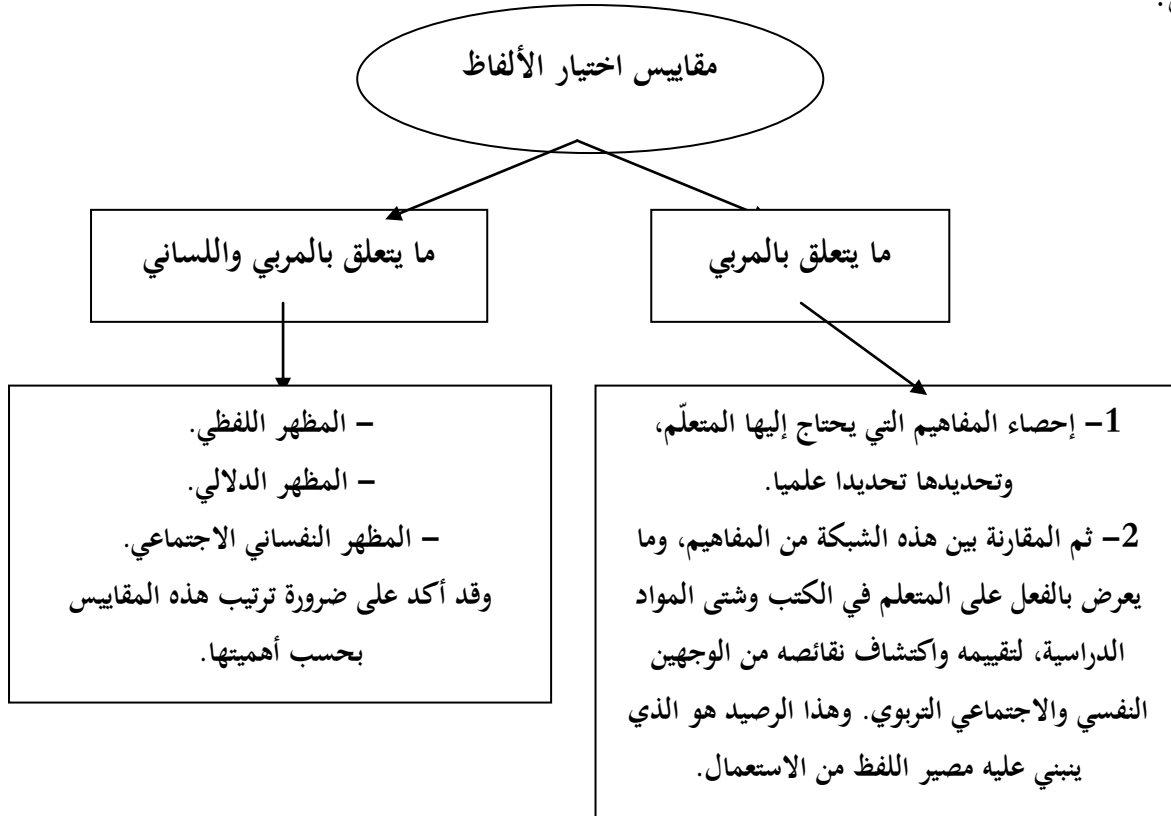
ب- لا يحتاج المتعلم إلى كل ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه.

ج- لا يمكن للمتعلم أن يتجاوز أثناء دراسته للغة في مرحلة معينة حداً أقصى من المفردات والتراكيب، حتى تصيبه التخمة الذاكرة.

وبالمقابل يصف الوضع الراهن الذي هو عليه تعليمنا للمادة اللغوية، ووصفه بالمتري، **كمّا وكيفّا**، وقد ربطه بالتوظيف الحقيقي في حياة الطفل اليومية التي يعيشها، كي لا تكون مجرد لغة متعلّمة مصطنعة، أو تلك اللغة التي زالت مسمياتها، وسمّاها بالمادة اللغوية العقمى.

وقد ضبط في هذا الشأن أهم المقاييس التي تعتمد لاختيار المادة اللغوية، على مستوى الألفاظ والتراكيب الوظيفية. وحدّد الغاية من اختيار المادة اللغوية ، وهو: تحصيل مهارة لسانية" تتمثل في القدرة الكبيرة على التعبير الدقيق عن جميع الأغراض، وجميع ما تقتضيه الحياة العصرية. أي تحصيل عدد كبير من اللفظ الكافي لسدّ حاجياته التبليغية بأكمل وجه.

خطاطة مقاييس اختيار الألفاظ. إن اختيار الألفاظ تتعلق بجانبين منها ما يتعلّق بالمربي، ومنها ما يتعلّق بالمربي واللساني.



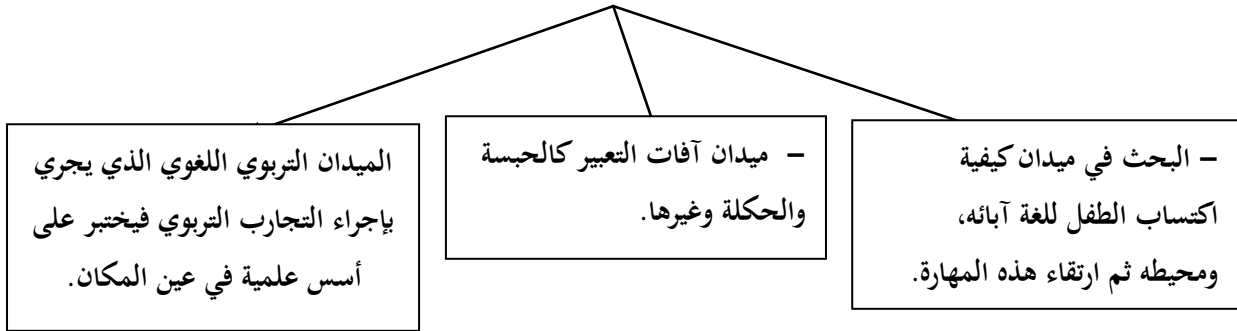
نماذج تطبيقية لترتيب المقاييس في حقل اللغة العربية. " على نشاطي التعبير والكتابة"

1- عدم اللبس على قدر الإمكان.

2- كثرة الاستعمال.

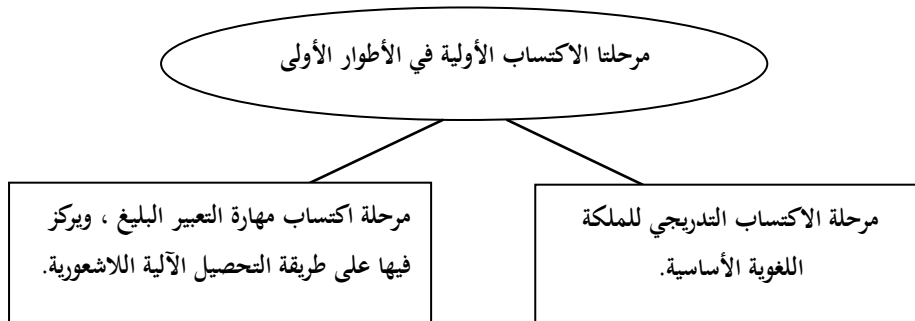
3- اعتدال المخارج وخفتها على اللسان.

وأما فيما يتعلق بالبحث عن طريقة تبليغ المعلومات اللغوية، وكيفية إكساب المتعلم الملكة اللغوية الكافية، فقد قدم موارد تدريس اللغات، ولغة المنشأ، فألفاها تتوزع على ثلاثة موارد أساسية، هي:



وأما الكيفية التي يتم بها اقتناء الإنسان للملكة اللغوية فهو عمل علماء النفس، وعلماء اللسان والأطباء. أما كيفية اقتناء الإنسان "المتعلم" للملكة اللغوية فهو عمل علماء النفس وعلماء اللسان والأطباء. أهم المعلومات الموضوعية:

- النطق وفق ما تدركه أذنه من الأصوات اللغوية.
 - أن ينتهي الطفل إلى اكتساب أهم المخارج التي تحتوي عليها لغة أبويه.
 - إدراك العلاقات البنوية فيما بين الكلم ليكون قادرا على التحليل والتمييز.
- وهذه القضايا تعدّ من المبادئ العامة والقصد منها تشكل مرحلتين متميزتين، وثانيتين تبني على الأولى.



وهذه المبادئ لا تشكّل إلا بالاعتماد على مقاييس التخطيط والترتيب والتدرّج للعناصر التي تقدم للمتعلّم. وأما مقاييس التبليغ التعليمي والترسيخ وخلق العادات السليمة، فإن حاصلها النهائي فهو تحقيق المزاجية بين:

- إكساب المتعلم لآليات الكلام.

- آليات الإدراك للعناصر اللغوية وفهم مدلولاتها.

آليات ضبط وتحقيق الاكتساب لآليات الكلام، وإدراك العناصر اللغوية وفهم دلالاتها.

- على مستوى المنطوق والمسموع يتحقق " الإدراك + الفهم "

- على مستوى المكتوب المحرر " القراءة "

ومحصّل ذلك القدرة على التعبير في مستوى التعبير الشفاهي الذي يأتي في المرتبة الأولى، مع العلم أن المشافهة تسبق القراءة والكتابة، و في الوقت نفسه أسبقية الإدراك على التعبير، وأما التعبير الكتابي فيمثل التعبير الفني فهو مرحلة تالية للإدراك.

القراءة.

اشتراط الباحث للقراءة أن تتميز النصوص بالخصائص التالية:

- أن تكون ملائمة للموضوع المخطط له.

- وإذا لم تتوافر فما على المعلم إلا تحرير نصوص من إبداعه، بشرط أن تراعى فيها شروط الانتقاء

والترتيب.

وهذان النشاطان يعملان على إثارة الإدراك المباشر من نفس المتعلم وضرورة الربط بين الحاستين السمعية والبصرية ، أو أكثر من حاسة، وذلك لجعل المتعلم مكتسبا لمهارته بنفسه ويكون المعلم مرشدا ومنسقا ومصححا لهذا العمل الاكتسابي.

والخلاصة أن هذه الشرعة، وهذا المنهج يمثلان همّا تربويا عرفه الناس منذ زمان " وإن كان غير معمول به بطريقة منتظمة"⁸ إنما الجديد أو على الأقل ما يتناساه أكثر الناس هو ضرورة الانتقاء والتخطيط والترتيب للمادة اللغوية، والتمسك الشديد بما تقتضيه هذه الأشياء بدون تهاون من الضبط والتدقيق والتنسيق بالنسبة للعمليات التعليمية. نظرية الترسيع الهدف منها هو المتعلم، هذا العنصر الذي ركز عليه كثيرا في مقال المنهاج وأسس العلمية في خضم دائرة تعليم اللغات بما فيها لغة المنشأ.

ولعل سبب التركيز على المتعلم هو نظريته الاستشراعية التي قالت بها الكثير من النظريات بعد السبعينيات " الفترة التي وضع فيها أسس النظرية التعليمية الحديثة في الجزائر " .

من الحقائق التي ركز عليها المتعلم، لأن سرّ النجاح في تعليم اللغات ينحصر في التركيز على المتعلم، لا على المادة المعرفية اللغوية على حدة، ومعزولة عن المتعلم أي على معرفة احتياجاته الحقيقية، وهي تختلف باختلاف السن والمستوى العقلي، وكذلك المهنة وأنواع الأنشطة المنوطة بالفرد في حياته وغير ذلك.

وقد اعتبر العناية بالمتعلم والتفطن إلى احتياجاته أصل الأصول ومبدأها العام.

ولأجل هذا أعطى عناية فائقة لنظرية الترسيع في اكتساب الملكة اللغوية، ورأى أن العمل الترسيعي متوقف على تعويد المتعلم على وصل عمله التعبيري بما تدركه الأذن في مستوى الأداء للأصوات والمباني. وذلك لتحصيل

المراقبة الذاتية بكيفية آلية، أي بتصحيح ارتجاعي مستمر ، ولهذا علاقة بالتصحيح الفوري للأخطاء من قبل المعلم.

ومن جهة أخرى يقتضي العمل الترسخي عمليات الإيصال أن تقسم الصعوبة إلى أقصى درجة ممكنة، فالمقياس وهنا هو " ألا يتناول التدريب الواحد أكثر من صعوبة واحدة" أما بالنسبة للإيصال فألا يتناول الدرس الواحد إلا عددا محدودا جدا من العناصر الجديدة مفردات كانت أم صيغا فردية وتركيبية"⁹

وقد تناول مختلف أشكال التدريب البنوي، وخاصة بّين كيف يتم التصرف في البنى الجديدة التي لم ترسخ بعد في استعمال المتعلم.

وألح على ضرورة التكثيف من الأعمال الترسخية ولا سيما إذا كان بطريقة " الممارسة الممنهجة المنتظمة غير الفوضوية....ويرى كما هو عند كل اللسانيين التربويين أن قسطها من الدراسة يجب أن يكون أوفر بكثير من حصة العرض والإيصال... وأن لا تقل عن نسبة ثلاثة أرباع الدراسة... بل يرى وبدون مبالغة بأن العمل الاكتسابي للغة كلّ تمرس ورياضة." ¹⁰

وقبل أن يتحدث عن الوضع الاصطلاحي الدلالي الذي يجب أن يستغل في المرحلة التالية للأطوار الأولى فرق بين اللسان كملكة وهو ما يركز عليه في البداية التعليمية، وبين اللسان كظاهرة اجتماعية، وبين علم اللسان كنظرية تحقيقية لهذه الظاهرة من جهة ولتلك الملكة من جهة أخرى.

نقد العالم الطرائق التقليدية كالاستقرائية والقياسية، وبين نقائصها على التمارين، منها: ما يتعلق بالحفظ ومنها ما يخص التحليل والتركيب.

وبّين بأن المربين لا يعتنون بالتمارين التي تُحكم التصرف في البنى في ذاتها. لأنهم كلهم يعتنون بتحفيظ التلميذ وبين أن دور التمارين لا يخرج عن ثلاثة أشياء هي:

استئناس المتعلم بما يتناوله من المعطيات الجديدة . وحفظه للصيغ الجامدة السماعية. وتزويده بما يحتاجه في المستقبل من جوامع الكلم، ومن آيات وأحاديث للتذكير والاحتجاج. وهذه التمارين تسمى تمارين بنوية لها مقاييسها المعروفة.¹¹

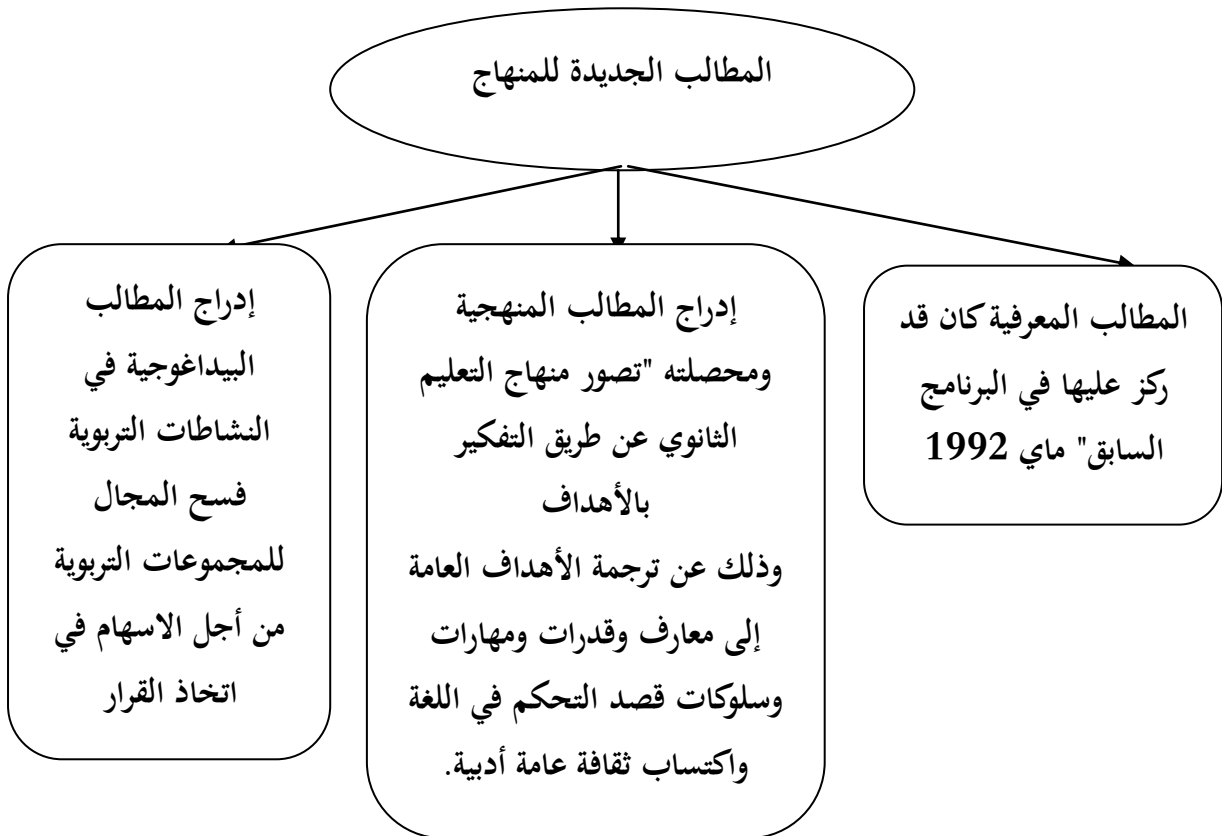
3- إمدادات النظرية في أعمال طلبة الشيخ عبد الرحمان الحاج صالح.

بناء على ما مر بنا يحق لنا أن نعتبر بأن الشيخ عبد الرحمان الحاج صالح ليس لسانيا فقط، وليس صاحب النظرية الخليلية الحديثة وإنما هو صاحب نظرية تعليمية متكاملة تحدت ملاحظها مع مقال أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، بحيث طبق أحسن ما بلغته النظريات اللسانية من بنوية وتوليدية تحويلية، وضمّنها بالأفكار الألمعية 335المبتكرة عند أجدادنا كالجاحظ وابن خلدون وما ورد في مقدمات الكتب النحوية التعليمية الجادة كال توضيح للزبيدي، والضروري في النحو لابن رشد، وغير ذلك...

ولا شك أن هذه الأفكار كانت سائدة في أوساط طلبته الذين جلسوا في حلقات دروسه، قد تخصص الكثير منهم في التعليميات، كما الشأن بالنسبة للباحثين كخولة طالب الإبراهيمي ومحمد صاري، والطاهر لوصيف، وغيرهم من الطلبة، بالإضافة إلى الباحثين الذين تأثروا بأفكاره، وعملوا على تسويقها إلى البلدان التي اشتغلوا بها وفي صدارتها دول الخليج التي عرفت نهضة علمية بفضل الجزائريين والمغاربة، وبالأخص في الشأن البيداغوجي.

4- النظرية التعليمية الجزائرية وتطبيقاتها في البرامج والمناهج الجزائرية المتعاقبة.

إن المتفحص في مختلف البرامج التعليمية وما تلاها من مناهج ابتداء من ماي 1962 ومنهاج سنة 1993 ما يدرك أن ما كان يركز عليه هو المادة المعرفية بمختلف أنواعها الأدبية واللغوية والثقافية، وأما الجانب التكويني والمنهجي فقد كان مهملا. لأن النظرة السائدة آنذاك هي تقليدية محضة، وقد تمّ الانتباه إليها في منهاج 1992 الذي يعتبر منهاجا انتقاليا، وقد استعير له اسم "الكيريكولوم" وهو مصطلح خاص بالمبرمجين¹² وقصد به "المنهاج الذي يتناول مجموعة من الأعمال المخططة من أجل القيام بالتعليم والتكوين"¹² وأما منهاج 1993 فقد روعيت فيه المطالب الجديدة للمنهاج التي كانت مهمة في برنامج "ماي 1992"



وأما منهاج جويلية 1995 فقد ظهرت فيه مستجدات جعلتهم يخرجون من مفهوم البرنامج إلى مفهوم المنهاج تماما بعد عبور المرحلة الانتقالية، وقد تخلى عن مقارنة الأهداف، واعتمدت مقارنة الكفاءات، والتي هي امتداد للمقاربة بالأهداف وتمحيص لإطارها المنهجي والعلمي.¹³

وهذه المقاربة تجعل من المتعلم محورا أساسيا لها، وتعمل على إشراكه في مسؤولية قيادة وتنفيذ عملية التعلم وأن يكون قادرا على تثمين تجاربه السابقة، ويعمل دوما على توسيع آفاقها، وما الأستاذ إلا منشط وليس ملقنا، وهو بذلك يسهل عملية التعلم ويحفز على الجهد والابتكار، والتقوم لأجل تقدم مسار التعلم لدى المتعلم.¹⁴

الخلاصة: إن ما يدعو إليه هذا المنهاج في رصده للملامح العامة للتخرج هي نفسها التي ذكرها الشيخ عبد الرحمان الحاج صالح قبل ثلاثين سنة، ومنها: إيصال المعارف الأساسية وتكوين السلوكات، وتعلم ما يجعله مندمجا في وسط المجتمع، والتحكم في الكثير من الكفاءات، خاصة الكفاءات ذات الطابع الاتصالي.

النتيجة:

بعد عقد مقارنة بسيطة تبين لنا أن ما ضمّنه الشيخ عبد الرحمان الحاج صالح في مقاله، هو مشروع متكامل لنظرية تعليمية أسسها علمية لأنه استثمر مختلف معطيات العلوم التي أفادت منها اللسانيات التطبيقية من علم النفس وعلم الاجتماع والبيداغوجيا، والعلوم الإنسانية بالإضافة إلى معرفته الواسعة والعميقة بالنظريات اللسانية الجديدة لأنه آنذاك لم يتقوّع في فناء البنية، وما ذلك إلا لأنه كان ذا فكر علمي معاصر، بالإضافة إلى خبرته الواسعة ومعرفته بالتراث العربي وخاصة اللساني منه الأصل الذي نظر إلى اللغة كاستعمال لا مجرد بنى شكلية لا صلة لها باللغة التواصلية.

أنا أعتقد بأن مشروع الشيخ عبد الرحمان الحاج صالح مازال في حاجة إلى من يعيد النظر فيه من هذا المنظور الديدانكتيكي المبني على أسس علمية ثابتة، وهذه الثوابت لا علاقة للتغير بها، وأما المتحولات فهي أصلا تدور حول فلك الثوابت، وأنا أعتقد بأن التفكير الأساسي الذي يجب أن يمس العملية التعليمية هو المعلم، ولأجل هذا كتب مقالته "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية" وجعل فيها كما في أيامنا أن المعلم هو الذي يتلقى البرامج والمناهج، وهو الحلقة بينها وبين التلميذ، فالتلميذ يتحرك بتوجيهاته، والمادة المعرفية هو المصفاة التي تمر عبرها ما يستحقه المتعلم، وإذا ما عدنا هذا العنصر، فسنبقى في مفترق الطرق لا نعرف أي اتجاه يسلك التعلم والمتعلم، وستضيع الأهداف، وتتلاشى الكفاءات، ولا ندري ماذا سيكون مصير الجيل الأول والجيل الذي استنسخه في هذه الأيام، ولا ندري كيف سيكون حال المقاربات التي يخبئها لنا المستقبل في منظومتنا.

المراجع:

- 1- بحوث ودراسات في علوم اللسان. لعبد الرحمان الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
- 2- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، لعبد الرحمان الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
- 3- تحليل محتوى مناهج اللغة العربية رؤية نظرية تطبيقية، عبد الرحمان الهاشمي ومحسن علي عطية، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، ط: 1 2009.
- 4- تخطيط المناهج المعاصرة، عادل أبو العز سلامة، دار الثقافة، عمان الطبعة 1 2008.
- 5- اللسانيات العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط: 1 1985.
- 6- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر بيروت، ط: 1 2000.
- 7- المنهاج التكاملي لمحمد عيسى الطيطي و شاهر ذيب أبو شريح، دار جرير للنشر عمان، ط: 1 2007.

الوثائق التربوية:

- برنامج وزارة التربية ماي 1992.
- منهاج وزارة التربية ماي 1993.
- منهاج وزارة التربية جويلية 2005

-
- ¹ - تخطيط المناهج المعاصرة، عادل أبو العز سلامة، دار الثقافة، عمان ط: 1 2008، ص: 67.
 - ² - اللسانيات العربية ، عبد القادر فاسي الفهري، منشورات عويدات، بيروت باريس ط: 1 1985، ص: 13.
 - ³ - السابق، ص: 69.
 - ⁴ - نفسه، ص: 31 " بتصرف طفيف"
 - ⁵ - انظر كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، عبد الرحمان الحاج صالح، الجزء الأول.
 - ⁶ - انظر بحوث في علوم اللسان، لعبد الرحمان الحاج صالح، 178 و 179.
 - ⁷ - نفسه، ص: 180.
 - ⁸ - انظر مقدمة ابن خلدون، من خلال فصوله العشرة التي عقدها للقضايا التعليمية التي كانت مبادرة من ابن خلدون لاصلاح أوضاع التعليم المتردية في عصره.
 - ⁹ - انظر بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص: 232.

¹⁰ - نفسه، ص: 234.

¹¹ - نفسه، ص: 238 و 239.

¹² انظر برنامج الأدب العربي، وزارة التربية، ماي 1992 ص: 07.

¹³ انظر منهاج جويلية 2005، ص: 4.

¹⁴ نفسه، ص: 5.